مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الثالث (ديسمبر 2017 م)
E:2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

جهود المرأة الصوفية في المجتمع الجزائري
السيّدة لالة زينب القاسمية أنموذجاً

د. بلال كشيدة

جامعة المسيلة

ملخص

يعالج موضوع البحث جانباً مهماً في دراسة جهود المرأة الصوفية لإثبات مكانتها في تعميق الروابط بين الدين والمجتمع، ويظهر ذلك جلياً في حالات خاصة تتنافس فيها المرأة مع الرجل في قرارات تمس الحياة الدينية، والتي كانت محصورة على الرجال دون غيرهم. من هنا، جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على جهود المرأة الصوفية في المجتمع الجزائري، مع التركيز على شخصية لالة زينب التي تولّت مشيخة زاوية الهامل هذا من جهة، وتِبيان قُدرتها على تولّي شؤون الزاوية بعد وفاة والدها الشيخ محمد بن أبي القاسم (ت1897م) من جهة ثانية، وهذا من خلال عرض أهم مواقفها البارزة طوال فترة إدارتها للزاوية.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ المرأة الصوفية؛ زاوية الهامل؛ لالة زينب.

Résumé

L'objet de cette recherche aborde une grande importance pour étudier la femme soufie, sa grande position et son rôle dans la société de même pour la religion. Apparemment, elle concurrence les hommes par prendre les décisions dans la vie religieuse. Ainsi, on va surligner ici la présence de la femme soufie dans la société Algérienne. On va aussi prendre comme exemple Lalla Zineb qui avait succédé le commandement de la Zaouïa d'El-Hamel et mettre en évidence son aptitude de diriger les affaires de la Zaouïa après la mort de son père Mohamed Ben Abi kassim en 1897. On va entamer également ses attitudes brillantes le long de sa souveraineté.

Mots-clés: Soufisme, la femme soufie, la Zaouïa d'El-Hamel, Lalla Zineb

مقدمة:

طرحت العلاقة بين التصوف والمرأة من جهة الممارسة إشكالا كبيراً، فلم يكن من المتداول في الأوساط الصوفية على تعدّدها أن تولت المرأة المشيخة أو الولاية، وربما يعود ذلك إلى طغيان الحضور الذكوري على مستوى النص والممارسة، وإذا ما حاولنا أن نقارن بين هذين المستويين، نجد أن المرأة من حيث حضورها على مستوى الخطاب الصوفي النصي قد نالت القسط الأوفر في كتابات الكثير من أقطاب الصوفية على غرار ابن عربي الذي خص الكثير من كتاباته وأشعاره الى التغني بالأنثى واعتبارها طريق من طرق الخلاص الروحي والحب الوجداني، وأما من جهة الممارسة فلم يكن للمرأة ذلك الدور الذي حضي به الرجل، فقد بقت على هامش الطريقة، مريدة أو مجرد زائرة.

إن المجتمع الصوفي الجزائري لم يشذ عمّا جرت عليه العادة لدى الفرق الصوفية في شتى بقاع المجتمع الإسلامي، فقد بقت المرأة بعيدة عن تولي شؤون الزاوية، وبقت الخلافة حكراً على الرجال، من جهة القوامة والقدرة، ومن جهة ورود الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أكدت على الولاية الذكورية، مثل قوله تعالى:﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِياء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يحْزَنُونَ**﴾[1].

لكن هناك بعض النماذج الشاذة التي أفرزتها الظروف التاريخية والاجتماعية وحتى السياسية، ظهرت فيها المرأة بثوب الولية الصالحة المسيرة لمشيخة الزاوية، فقد تقلد الكثير من النساء في المغرب العربي مناصب علمية ودينية، مثل "لالة عائشة المنوبية في تونس"، و"لالة سيتي" في تلمسان، ولالة ميمونة" في فاس، و"العالية" التي كانت تدرس المنطق في الأندلس، ولالة مغنية التي أصبح اسمها لمدينة في غرب الجزائر.

1 سورة يونس الآية رقم«62».

وتعتبر زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة (ولاية المسيلة حاليا)، التي أسّسها الشيخ محمد بن أبي القاسم[1] ، من أشهر الزوايا الموجودة في الجزائر؛ نظير الأعمال التي قدّمتها للمجتمع، في غياب شبه تام لسلطة فعلية تؤطر المجتمع وتهتم بحاجياته، وهي تنتمي للطريقة الرحمانية التي أسّسها الشيخ عبد الرحمان الأزهري[2].

ولعل لالة زينب التي تولّت مشيخة زاوية الهامل (1897-1905م) بعد وفاة والدها هي أبرز من مثّلت تجليات المرأة الصوفية في المجتمع الجزائري، حيث عرفت بذكائها في تسيير شؤون الزاوية، وقدرتها على تولي مقاليد المشيخة بما فيها من أتعاب وأعباء، في ضل فترة عصيبة كان يمر بها المجتمع الجزائري، وهي فترة الاحتلال الفرنسي.

1-لالة زينب: المولد والنشأة.

ولدت لالة زينب[3] بقرية الهامل في حوالي سنة (1268ه/1852م)، وهي الابنة الوحيد للشيخ "محمد بن أبي القاسم "مؤسس زاوية الهامل، تعلمت القرآن وعلومه على يد والدها، ثم توجهت إلى الدراسات الشرعية، فسمعت عن والدها شروح الصحيحين، وكتاب الشفا للقاضي عياض، كما درست التوحيد والفقه، وواصلت اطلاعها على أمهات الكتب الصوفية كالرسالة القشيرية، إحياء علوم الدين، الحكم العطائية، فتكون لها بذلك رصيد معرفي في قضايا العلوم الشرعية[4].

ولقد عانت لالة زينب وحيدة أبيها محمد بن أبي القاسم ويلات التقاليد الاجتماعية المتوارثة التي كانت ترى في المرأة الكائن العاجز عن تسيير شؤون الزاوية، فهي لا تحمل تلك القداسة الروحية والدينية التي قد يحظى بها الرجل باعتباره الزاهد

---

1 ينظر الملحق رقم: 01

2- Rinn (L), Marabout et khouan, étude sur l'islam en Alger 1884.p290

3 ينظر الملحق رقم: 02

4 عبد المنعم القاسمي: **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962م)**، دار الخليل للنشر والتوزيع ، ط2، 2013.ص131.

والأقرب إلى التدرج في معارج الروحانية، وهي باعتبارها ذلك الكائن المدنس والأرضي الذي يدعوا إلى التشبث بالشهوة والجسد.

لكن نظرة والدها التي اختلفت على ما كان سائداً من ازدراء لدور المرأة وحضورها ومكانتها داخل المجتمع، جعله يولي أهمية كبيرة إلى تربية ابنته على مبادئ الدين الحنيف وأخلاق الشريعة الإسلامية السمحاء، فتولى تعليمها بنفسه، ووفر لها معلما يُحَفِظُهَا ويعلمها تفسير القرآن الكريم.

وقد تولت لالة زينب بداية الأمر مفاتيح مكتبته الثرية لما لمس منها من شغف متزايد بطلب العلم، بالإضافة إلى جرد أوقاف والدها الذي كان يطلعها على أهم أعماله ومنجزاته، كما تولت رعاية الأرامل والمطلقات المقيمات بالزاوية والذي بلغ عددهن أكثر من أربعين امرأة[1]، فلم تتزوج "لالة زينب" وسخّرت حياتها خدمة للفقراء والمساكين حيث تقول عن نفسها:" ... امرأة بكر مرجوة الخير موسومة عند العامة بالصلاح تالية لكتاب الله ذات عفة وصيانة تنفق مالها في سبيل الله على ذوي القربى واليتامى"[2].

وقد ترك والدها وصية يوليها من خلالها مشيخة الزاوية بعد مماته، وقد كانت تمثل زاوية الهامل آنذاك أكبر مؤسسة دينية في المغرب الإسلامي. ومن منطلق كونها أول امرأة تتولى إدارة شؤون زاوية بهذا الحجم والمكانة فقد اعتبرتها الباحثة كلنسي سميث "SMITH-CLANCY" أحد أبرز وجوه المقاومة الثقافية التي عرفتها الجزائر نهاية القرن التاسع عشر ميلادي[3].

---

1 Julia CLANCY-SMITH: Rebel and Saint, Muslim Notables, Populist Protest, Colonial Encounters (Algeria and Tunisia 1800-1904). Berkeley, University of California Press, 1994, p 234.

2 تقي الدين بوكعبر: "لالة زينب الهاملية ودورها في المقاومة الثقافية (قراءة في قصيدة شعرية مخطوطة للشيخ محمد بن أحمد القماري)"، في **مجلة الدراسات التاريخية**، الجزائر، ع19، (صفر 1437ه/ ديسمبر 2015م، ص266.

3 عبد المنعم القاسمي: مرجع سابق، ص357.

2- تولي لالة زينب مشيخة الزاوية في ظل سيطرة المجتمع الذكوري:

بوفاة الشيخ "محمد بن أبي القاسم" سنة 1897م برز في الأفق صراع كبير حول أحقية خلافته، فكانت ترى "زينب" ابنة الشيخ أحقيتها في خلافة أبيها، بينما كان يرى ابن عمها "محمد ابن الحاج محمد" عكس ذلك، وأنه الأحق لمشيخة الزاوية، وتطورت القضية وتأزمت إلى أن وصلت للإدارة الفرنسية بما فيها مكتب الشؤون الداخلية والحاكم العام نفسه[1].

من هنا برزت بوادر الصراع الذي سيأخذ أبعاداً مختلفة، فمن له الحق في مشيخة الزاوية؟ الابنة أم ابن الأخ؟ وهل يعد هذا استثناءً في منطقة نائية بعيدة كل البعد عن المدنية والتحضر؟، وكيف خطرت للالة زينب فكرة مشيخة الزاوية أصلا؟ في الوقت الذي كان يعتقد فيه الكل أن مشيخة الزاوية ستؤول للشيخ "محمد بن الحاج" بما في ذلك سكان القرية والإدارة الاستعمارية، التي كانت تفضل "محمد بن الحاج" على لالة زينب، نظرا للعلاقة المميزة التي كانت بينهما.

إن الفهم الجيّد لفصول هذا الصراع، يدفعنا بالرجوع الى الفترة التي سبقت وفاة الشيخ "محمد بن أبي القاسم"، فقبل وفاته بعث برسالة إلى القائد الفرنسي "كروشار" (رئيس المكتب العربي) في بوسعادة يعلمه فيها بأن خليفته هو ابن أخيه "محمد بن الحاج"، مع أن الإدارة الفرنسية كانت تلح على الشيخ دائما بضرورة تعيين خليفته قبل وفاته، وهي تقصد بذلك ابن أخيه "محمد بن الحاج" الذي كانت تربطه علاقات وطيدة مع الإدارة الفرنسية، وبالمقابل فإن لالة زينب اعترضت على هذه الوثيقة بعد وفاة والدها، مبررة أن هذه الوثيقة استصدرت منه وهو في حالة لا يملك فيها كل

1 Chentouf Tayeb; Le gouverneur et le Cheikh de la zaouia, La succession de Cheikh Bellqacem de la zaouia d'El Hamel (1897-1912), In: Cahiers de la Méditerranée, N°41, 1990. États et pouvoirs en Méditerranée (16ème et 20ème siècles), p49.

قواه، واستعملت وثيقة أخرى قديمة تعود إلى سنة (1877م) لتثبت أحقيتها في خلافة أبيها[1]، وأعلنت أنها الوحيدة التي تملك الحق في خلافة أبيها.

فبتاريخ (22 شعبان 1294ه/ 31 أوت 1877م)، كتب الشيخ محمد بن أبي القاسم كتابا لصالح ابنته يخول لها فيه التصرف في أملاكه بعد موته، وذلك حسب الشعائر الحنفية، لكن القائد الأعلى في بوسعادة تجاهل ذلك الكتاب[2].

وقد تمّ استخراج نسخة من هذه الوثيقة تحت رقم (1632)، بتاريخ (09 صفر 1315ه/ 09 جويلية 1897م)، تضمنت وقف الشيخ محمد بن أبي القاسم جميع أملاكه من بساتين وعقار ومواشي وأبقار على ابنته "زينب"، كما تضمنت تفصيلا دقيقا للأماكن والأراضي التي يمتلكها الشيخ[3].

لكن التجاهل الذي أبدته الإدارة الاستعمارية للوثيقة التي بحوزة السيدة زينب يكون بالضرورة كمؤشر لرفضها تولي مشيخة الزاوية بعد وفاة أبيها، ومحاولة منها إلى تسهيل الأمور لابن عمها لتولي مشيخة الزاوية، وهي بذلك تبدي مساندة ضمنية له.

إن هذا الاهتمام الذي أبدته الإدارة الاستعمارية حول مسألة خلافة الشيخ محمد ابن أبي القاسم قبل وفاته وبعدها، يبين أن هناك مصلحة قد تجنيها من كل هذا. وللتدليل على ذلك ما قام به القائد "كروشار" مسؤول المكتب العربي الذي التقى بالشيخ "محمد ابن أبي القاسم" بمنطقة وادي الهامل قبل مدة قصيرة من وفاته، وقد كان يهدف من هذا اللقاء معرفة من قد تؤول إليه الخلافة بعد وفاة الشيخ محمد بن أبي القاسم، خصوصا إذا علمنا أنه لم ينجب من صلبه أولادا سوى ابنته الوحيدة زينب[4].

---

1 أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)**، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص163.

2 Chentouf Tayeb,op cit, p52 .

3 C.A.O.M. :16H61.acte d'inventaire des biens du Sheikh Mohammed ben Belgacem d'El-hamel. N° 1632. 08 juillet 1897.

4 محمد الرؤوف قاسمي: **الاقتصاد التضامني الاجتماعي (نموذج زاوية الهامل ومعهدها)**، مركز البحث في الاقتصاد من أجل التنمية، د.ت، ص130.

ولا شك أن القائد "كروشار" قد واصل عمله كمن سبقه من القادة أمثال القائد "فورني" الذي كان يرى من خلال التقارير التي رفعها للإدارة الفرنسية أنه من الصائب تولية ابن أخ الشيخ "محمد بن الحاج" لمشخية الزاوية، واستبعاد ابنته زينب[1].

لقد كان لهذا الدعم آثار وخيمة على الموضوع برمته، فبتاريخ (25 جوان 1897م) اقتحم "محمد بن الحاج" بيت السيدة "زينب" واستولى على بعض الوثائق والأثاث، مما جعل السيدة "زينب" تسارع في إرسال برقية للحاكم العام بالجزائر العاصمة تطالبه فيها بحمايتها وحماية ممتلكاتها وممتلكات أبيها[2].

ويمكن أن نورد مقتطفا من هذه الوثيقة، ووصف السيدة" زينب" لحالتها:

"... معكم ما هو حاصل على هاته العاجزة على المدافعة من التعد والتسلط من ابن عمي محمد بن الحاج محمد بهجومه ونزعه مفاتيح دياري وخزايني جبرا ووضع العسة ليلا ونهارا امام داري وبأطرافها وطرد خدمي ومنعهم من السعي بمصالحي واطالة لسانه علي والدخول إلى داري مع اخوته ووالدهم بدون اختياري وبلا اذن مني والحالة انهم ليسوا بمحرم مني حتى انهم يتجاسرون بالدخول ويهتكون الاستار ويطلعون على حرم والدي بقصد اختلاس اموالي مع اموال الايتام التي كانت بيد المرحوم والدى..."[3].

ويفهم من خلال الوثيقة، أن السيدة زينب مستاءة كثيرا من بن عمها، ومن التضييق الذي فرضه عليها، وبغض النظر عما وقع في تلك الحادثة يبقى هناك سؤال يجب أن نطرحه هنا: هل كانت السيدة زينب تدرك أن الإدارة الاستعمارية كانت تدعم "محمد بن الحاج" لخلافة الزاوية؟ وإن كانت كذلك فما هو السبب الكامن وراء مراسلتها هذه إذا علمت أنها غير مرغوب فيها لخلافة أبيها؟

---

1 المرجع نفسه: ص131.

2 ينظر الملحق رقم:03.

3 C.A.O.M. :16H61. lettre de Lalla zineb au commandant Rebel, a. s. de plainte, sans date

الواضح هنا، أن السيدة زينب لم تجد من بيده السلطة لمنع تجاوزات ابن عمها عليها، فلجأت بذلك للإدارة الاستعمارية؛ باعتبارها سلطة فعلية تمكنها من حل قضيتها، ويبدوا أنها من خلال هذه الرسالة أرادت أن تبين حقيقة ابن عمها للإدارة الاستعمارية، أو تقوم بتشويه صورته إن لم تكن هذه الأحداث قد وقعت بحجم وصفها لتفاصيل القضية، ومهما يكن فإن هذه الشكوى تندرج في إطار مطالبتها بأحقيتها في الخلافة من ابن عمها "محمد بن الحاج".

لقد مثّلت هذه الحادثة تطوراً كبيراً في مسار الأحداث، ونقطة تحول في نفس الوقت باعتبارها خارجة عن المألوف وعن الرسالة النبيلة التي تقدمها الزاوية في الاقتداء الحسن والتسامح؛ باعتبارها قد صدرت من شخص كان مرشحا لخلافة عمه "محمد بن أبي القاسم"، وفي نفس الوقت ساهمت هذه الحادثة في تأجيج الوضع، كما أن استعانة السيدة "زينب" بالإدارة الاستعمارية للنظر في قضيتها، يكون قد فتح مجالا واسعا لتدخل أطراف خارجية في الموضوع بمن فيهم الإدارة الاستعمارية نفسها.

لقد أبرزت الوثيقة التي بأيدينا أن السيدة زينب لم تكتف بسرد وقائع الحادثة فقط، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث اتّهمت ابن عمها في كونه سببا في وفاة والدها الشيخ محمد بن أبي القاسم خارج الزاوية في طريق عودته من الجزائر، وذلك في قولها:

"... وقد كان هو السبب في تعطيل والدي في اثناء سفره ومنعه من القدوم للزاوية حتى مات خارجاً عن محله مع علمه بهلاكه بواسطة الطبيب الذي كان يعالجه...".

ويبدو أن السيدة "زينب"، قد دفعتها حالة الغضب التي كانت فيها، لتوجيه هذا الاتهام، فعلاقة الشيخ "محمد بن أبي القاسم" مع ابن أخيه "محمد بن الحاج" كانت علاقة جيدة، وكان ملازما له ومعينا طيلة فترة حياته.

من هنا، يتبين لنا بأن مسألة الارث الذي خلفه الشيخ محمد بن أبي القاسم، برزت في الأفق بشكل واضح، على اعتبار أن ما تركه لا يعتبر بالشيء الهين في ذلك الوقت، وهذا ما يدفعنا لطرح تساؤلات في هذا الشأن، ما هو السبب الكامن وراء

قيام محمد بن الحاج بهذا الفعل؟ أكان يقصد به الاستلاء على ما خلفه الشيخ المؤسس من ميراث؟ أم أنه يندرج في إطار المطالبة بحقه فيه؟ أم أن الأمر لا يعدو في كونه تخويفا لابنة الشيخ للعدول عن مطالبتها في هذا الحق؟

هذا ما يجعلنا ننتقل الى نقطة جوهرية في الموضوع تتعلق أساسا بمسألة الخلافة، فهذا الصراع القائم هل هو في الاساس حول الخلافة الروحية للزاوية (البركة)، أم الخلافة المادية (الإرث)، أم الاثنين معا، إلا أن ما أشارت اليه لالة زينب يبرز بوضوح أن الشيخ محمد بن الحاج كان يريد الاستيلاء على أموال والدها وذلك في قولها: "بقصد اختلاس أموالي مع أموال الايتام التي كانت بيد المرحوم والدى...".

وبعد يومين من الحادثة وبتاريخ (27 محرم 1315ه/ 27 جوان1897م) قام النقيب "كروشار" بزيارة زاوية الهامل، ودعا الطلبة للمثول أمام مكتب الشؤون العربية، للنظر في الإجازة التي كتبها الشيخ "محمد بن أبي القاسم"[1]، ولكن لم يعترف أحد ممن حضروا بشرعية تلك الوثيقة لاقتناعهم أن هذه الوثيقة لا تعتبر إجازة من طرف الشيخ بتولي المشيخة.

ويمكن أن نورد هنا تقريرا آخر مكوننا من عشرة صفحات بتاريخ (13 شوال 1317ه/ 13 فيفري 1900م)، تحت رقم 782 مرسل من قائد قسمة الجزائر إلى الحاكم العام موضوعه بعنوان: "بخصوص مرابط الهامل"، والملاحظ عند قراءتنا لهذا التقرير الدقة الكبيرة في وصف الأحداث التي وقعت آنذاك، وقد يرجع هذا بالأساس إلى الفترة التي كتب فيها سنة (1900م)، أي بعد ثلاث سنوات من وفاة الشيخ "محمد بن أبي القاسم" وبداية وقائع القضية، وهذه مدة كافية لكاتب التقرير لتكوين صورة واضحة حول الموضوع، عكس التقارير الأخرى والتي كانت آنية فترسل بمجرد وقوع تفاصيل جديدة في مسار القضية.

وللتدليل على ذلك، نورد ما جاء في بداية التقرير، الذي يذكر صاحبه أنه أحاط بالوضعية التي كانت عليها الزاوية، حيث يذكر ذلك قائلا: "...أعلمكم أنني

1 Chentouf Tayeb,op cit, p56 .

فحصت شخصيا هذه القضية، فلقد أحطت بالوضعية القائمة بالزاوية لدى زيارتي الأخيرة لها، رأيت لالة زينب وسي محمد بن الحاج وتحدثت إليهما طويلا..."[1].

من هنا فإن سماع كلا طرفي النزاع سمح له بتكوين صورة واضحة حول أسباب الصراع ومجرياته، ومما ذكره حول ما حصل ما يلي:

"لابن عمها سي محمد بلحاج منزله الخاص بجوار منزلها وقد حظي بدعم السلطات منذ البداية بما أن عمه عينه سابقا كخليفة وذلك لدى من سبقوني في قيادة قسمة الجزائر، وفرض نفسه كوريث للبركة كما نصت عليه رسالة محمد بن بلقاسم، تم الضغط معنويا على لالة زينب لجعلها تفهم أهمية الاتفاق لصالح الزاوية لكن دون جدوى لكن السلطات اضطرت لوقف التدخل بعد ان استدعت لالة زينب وكيل الجمهورية لظنها أن هناك مؤامرة ضدها، لم يملك قائد بوسعادة الأعلى خيارا بعد وقوفه لجانب محمد بلحاج سوى التزام الحياد لكي لا تكون لالة زينب ضحية، واعتمد هذا الموقف في مسألة الميراث المؤقت في النظام الذي لم يكن في الوسع التدخل فيه، لم يرغب سي محمد بن الحاج الذي ادعى الشرعية أن تتدخل السلطات في هذه القضية، فقد بدا أنه يعي لحد ما أن كل عمل متهور سيخل بالقضية، وانطلاقا من العام الموالي عمل على استخدام طرق ذكية ودبلوماسية..."[2].

وقد لخص صاحب التقرير هذه الطرق الذكية والدبلوماسية التي كان يتبعها الشيخ محمد بن الحاج في قوله: "... لقد واصل عمله كمدرس حفاظا على سمعته وسيرته خاصة في معاملته للحجاج، أخيرا حاول إظهار نفسه انه مختلف مع السلطات أمام قادة رتب الزاوية، وايصال رسالة أن قضيته تتضامن مع مصالح الفرنسيين...".

وبالمقابل، فإن هناك من اتخذ موقفا معارضا للقضية، كالشيخ "عبد الرحمان الديسي" (أحد أساتذة المعهد الهاملي، ومن المقربين للشيخ "محمد بن أبي القاسم")،

1 C.A.O.M,16H61, N° 782,13 février 1900

2 Ibid.

فنجده قد اتخذ موقفا صريحا في الموضوع، فوقف إلى جانب الشيخ "محمد بن الحاج" الذي هو أحد تلامذة الشيخ عبد الرحمان الديسي.

ولا بد أن هذا الموقف الذي اتخذه الشيخ "عبد الرحمان الديسي" لم يكن من فراغ، فقد رأى أن "محمد بن الحاج" هو الأحق بخلافة عمّه، وذلك تنفيذا لوصية الشيخ "محمد بن أبي القاسم"، ونجد ذلك فيما كتبه بعنوان: "رسالة إلى الإخوان"، حيث يقول:

"... فحقيق على كل من يحب الأستاذ أن يتبعه في هذا، وشهادتي له أيضا أنه محق في دعواه، وأن وصية الأستاذ له ثابتة حقا صدقا، كتبها له بخطه الشريف بيده الكريمة وأنني على يقين في أية ساعة كتبت وفي أية ليلة كتبت، وقد وقع ذلك قبل سفره رضي الله عنه بأيام قلائل واعتقادي أيضا أنه رضي الله عنه توفي وهو عنه راضن فلماذا لم تعتبروا هذه المزايا واعتبرتم غيرها، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وإن لم يصلح هو لها فمن لها"[1].

3- فكر التسامح وتقبل الآخر لدى لالة زينب:

إن الاهتمام الذي حظيت به المرأة الصوفية على غرار لالة زينب من قبل الباحثين والمؤرخين الأجانب يعد استثناءً، على اعتبار أن هذه الشخصية لم تعنى بالدراسة الكافية من قبل الباحثين الجزائريين، إلا ما كتب عنها في شكل مقالات من الصعب وصفها بالأكاديمية، وبالمقابل فإننا نجد دراسات جادة على غرار ما قامت به الكاتبة والصحفية السويسرية إيزابيل ابرهاردت "Isabelle Eberhardt" (1877-1904) التي اعتنقت الإسلام، وربطتها علاقة مميزة مع "لالة زينب" فكتبت عن فترة توليها مشيخة زاوية الهامل، وقد نقلت لنا بعض آراء السيدة زينب فيما يتعلق بنظرتها إلى المجتمع، ومعاناتها في تسيير شؤون الزاوية في كتابها "مذكرات الطريق".

كما نجد دراسة أخرى للرحالة والأديب الفرنسي شارل دي غالان"Charles De Galland" (1851-1923)، رئيس بلدية الجزائر العاصمة

1 عبد المنعم القاسمي: مرجع سابق، ص 62.

(1910-1919) ، والذي كانت له رحلة إلى مدينة بوسعادة سجل فيها انطباعاته عن زاوية الهامل بعد وفاة الشيخ محمد بن أبي القاسم واستقبال السيدة زينب له ومكانتها أوساط الجماهير والأتباع.

4- المواقف التي طبعت مشيختها لزاوية الهامل:

وقد تميّزت فترة مشيختها لزاوية الهامل بعدة خصوصيات، نذكر من أبرزها:

- تعتبر لالة زينب أول امرأة تولت مشيخة زاوية بحجم زاوية الهامل في الجزائر بعد وفاة أبيها الشيخ محمد بن أبي القاسم.
- تولت مشيخة الزاوية بعد صراع مرير مع ابن عمها الشيخ "محمد بن الحاج محمد" واستطاعت في النهاية أن تتغلب على مختلف العقبات التي وضعت في طريقها من طرف الإدارة الاستعمارية.
- حافظت على بقاء الزاوية واستمراريتها وسيرت الإرث المالي الذي تركه والدها بكل حنكة ونجاح.

- خاتمة:

وحاصل القول، فإن لالة زينب تمثل بحق قدرة المرأة الصوفية على تولي مقاليد الزاوية، إذ استطاعت طوال فترة تسييرها أن تبقي على أهم واجبات الزاوية الروحية من تعليم القرآن الكريم وتوزيع الصدقات على المساكين والفقراء، ورعاية الأيتام والمعوزين، والاعتناء بعائلة "المقراني" الثورية واستقبالهم في الزاوية، بعدما نَكّلَ بهم المستعمر بعد ثورة المقراني سنة (1871م).

كما تمكّنت بفضل حكمتها التي اكتسبتها عن أبيها أن تفض الخصومات وتراسل المستعمر عن قضايا تخصها وتخص مطالب مجتمعها، كما استطاعت أن تحافظ على الأموال التي خلّفها والدها من خلال الترشيد الاقتصادي الذي تبنّته، بالرغم مما أثير حولها من إسراف في التسيير.

قائمة الملاحق:

الملحق رقم (1)

الشيخ محمد بن أبي القاسم، وثائق مكتبة زاوية الهامل

لالة زينب ابنة الشيخ محمد بن أبي القاسم، وثائق مكتبة زاوية

مخطوط برقية السيدة "زينب" للحاكم العام بالجزائر العاصمة

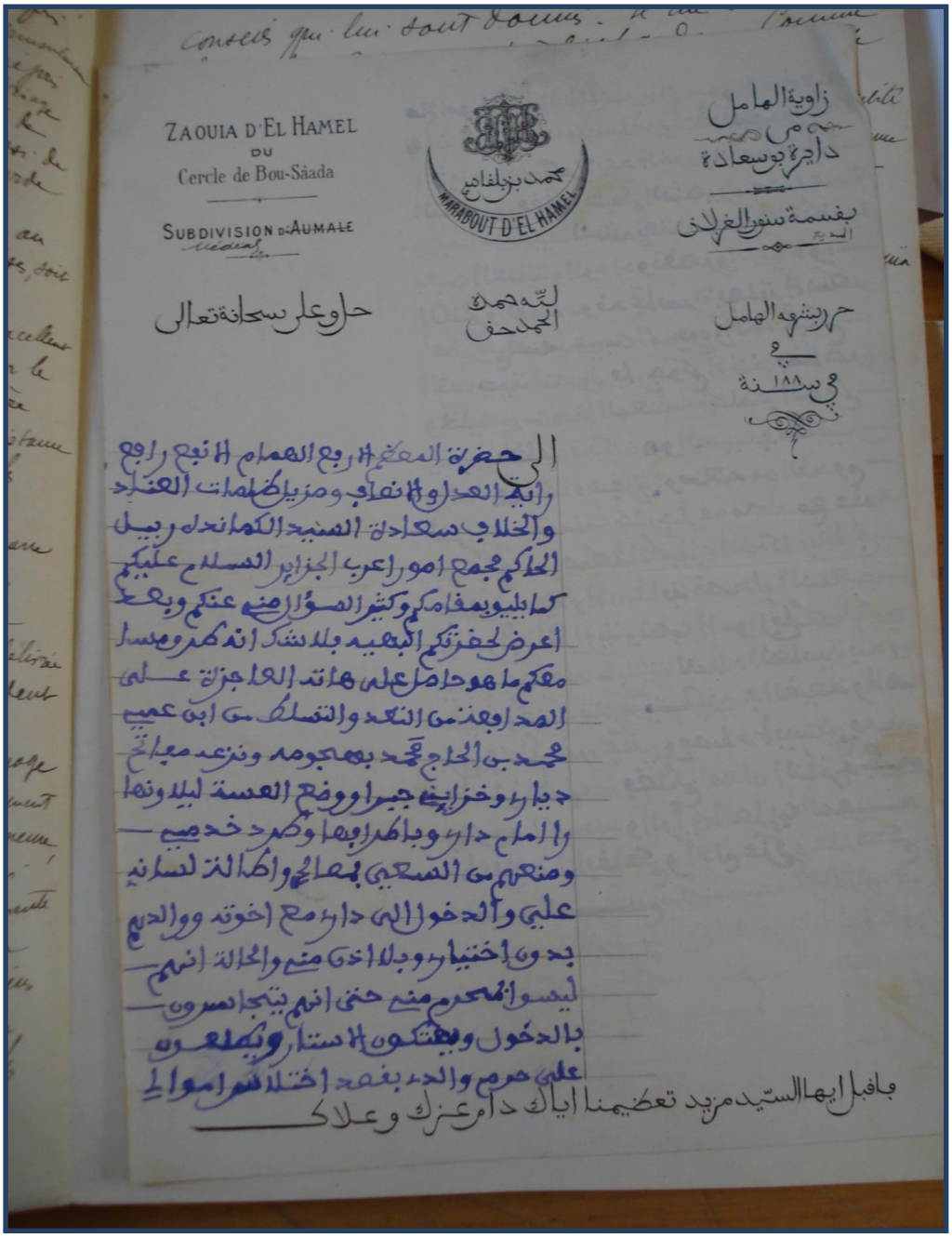

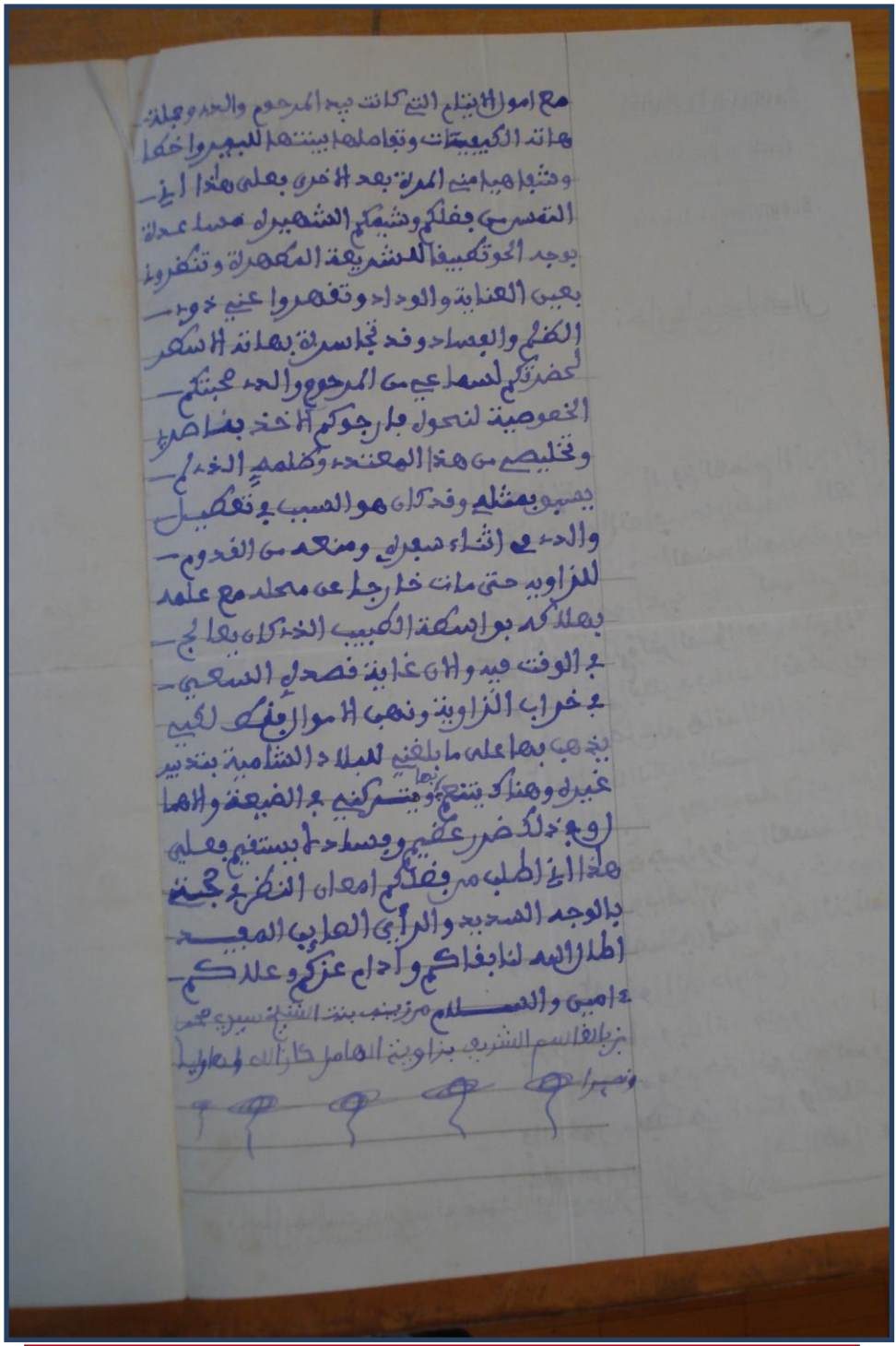

المصادر والمراجع

أولا: باللغة العربية:

- **القرآن الكريم**: سورة يونس الآية رقم «62».

المراجع:

1- القاسمي عبد المنعم: **زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1962م)**، دار الخليل للنشر والتوزيع ، ط2، 2013.

2- بوكعبر تقي الدين: "لالة زينب الهاملية ودورها في المقاومة الثقافية (قراءة في قصيدة شعرية مخطوطة للشيخ محمد بن أحمد القماري)"، **مجلة الدراسات التاريخية**، الجزائر، ع19، (صفر 1437هـ/ ديسمبر 2015م).

3- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)**، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009.

4- قاسمي محمد ال رؤوف: **الاقتصاد التضامني الاجتماعي (نموذج زاوية الهامل ومعهدها)**، مركز ال بحث في الاقتصاد من أجل التنمية، د.ت.

ثانيا: باللغة الفرنسية:

9- C.A.O.M. :16H61.acte d'inventaire des biens du Sheikh Mohammed ben Belgacem d'El-hamel. N° 1632. 08 juillet 1897.

10- C.A.O.M. :16H61. lettre de Lalla zineb au commandant Rebel, a. s. de plainte, sans date

11- Julia CLANCY-SMITH: Rebel and Saint, Muslim Notables, Populist Protest, Colonial Encounters (Algeria and Tunisia 1800-1904). Berkeley, University of California Press, 1994,

12- Chentouf Tayeb; Le gouverneur et le Cheikh de la zaouia, La succession de Cheikh Bellqacem de la zaouia d'El Hamel (1897-1912), In: Cahiers de la Méditerranée, N°41, 1990. États et pouvoirs en Méditerranée (16ème et 20ème siècles), p49.